أيّ دور للمدينة المتوسّطة في إطار الحوضرة ؟

المدن المتوسطة هي من صنف المدن التي جلبت اهتمام العديد من الباحثين ومصدرا لبحوث متعدّدة خاصّة من قبل الباحثين في الإشكاليات المرتبطة بأنظمة المدن وببناء التراب. تمثل بالنسبة للجغرافيين وحدات مجالية تكونّ أسسا لبناء الأقاليم وتسمح بربط المدن الكبرى بالصغيرة في بنية مشتركة ينتظم من حولها سير التراب الوطني .

بالنسبة للعديد من الباحثين، تمثّل المدن المتوسطة مستوى ملائما لفهم اشتغال تراب ما ومستوى يسمح (من ناحية أخرى) ببناء النماذج والقوانين والنظريات المتعلقة بالمجال الجغرافي، بالاقتصاد المجالي وبالتراب (نظرية أقطاب التنمية، نموذج أنظمة الإنتاج المتوطنة،نموذج الإقليم المستقطب....) كثيرا من السياسات قد انفردت بمشروع ترابي يمكّن الأقاليم والمراكز الإقليمية من أهمية إستراتيجية. وفي هذا الإطار نجد كثيرا من الدول قد ضبطت في الستينات والسبعينات من القرن العشرين سياسة للمدن المتوسطة، من أبرزها فرنسا التي تبقى المثال الأكثر شهرة (أو انتشار).

بالنسبة لبعض الباحثين، فالمدينة المتوسطة ليست سوى بناءا خياليا من قبل الجغرافيين، إذ تبقى أداة مجالية غير محددّة (على حد تعبير BRUNET)، تجسّد مجرّد معادلة إحصائية تمكن من تلخيص (أو تحديد) بنية حضرية وتوفّر أسسا وقواعد لمقارنات ملائمة بين البلدان (كتونس والمغرب، ففي هذا الأخير يكون فيه حجم المدينة المتوسطة ضعف ما هو عليه في تونس، أو بين تونس ومصر أيٍ يعتبر تجمع 40000 ساكنا مدينة متوسطة ،بينما لا يمثل هذا العدد في مصر سوى ا لتجمعات القروية).

ومع ذلك، وفي إطار الحوضرة، الذي تؤكد فيه المدينة الكبيرة أولويتها وهيمنتها الإدارية والمولدة للأدفاق، يبقى موضوع المدن المتوسطة مطروحا وحديث الساعة، إذ تتجه الحاجة شيئا فشيئا إلى هذا الصنف من المدن ة باعتبارها مدن ارتكاز في إقليم حاضري، فاهتمام الحواضر بها يهدف لإعادة توطين بعض الوظائف أو لتعبئة بعض المصادر التي أصبحت نادرة. أمّا في التراب غير الحاضري، تعدّ المدن المتوسطة ذات استراتيجية هامة باعتبارها أقطاب تنمية وأوساط تعديل داخل ديناميات ترابية في انتقاء مستمر حيث تصبح أوساطا " مفاتيح" لنجاح المشروع الترابي في مجمله.

الإشكالية :

***السؤال الأول الممكن طرحه** هو الذي يتعلق بمصطلح المدينة المتوسطة. :كيف يمكن تمييزها عن بقية مستويات بقية المدن الأخرى (الكبيرة والصغيرة)؟ كيف نعرّفها وكيف نحدّد خاصياتها " ميزاتها الأساسية " من المنظور الفلسفي، " كل ما هو خاص بها ويفردها" حسب منج LE PETIT ROBERT. رغم الغموض يمكننا تقديم تعريف أوّل بالإشارة إلى المدينة المتوسطة على أنها تلك التي تتطابق مع مستوى المدينة الوسيطة أي أنها تتموضع بين المدينة الكبيرة والمدن الصغيرة ،هذا مع التأكيد على الخصائص التالية :

- هي حجم حضري (ديمغرافي) متوسط، يمكن أن يترجم بفارق يتراوح بين 20000 و100000 ساكنا.
- ذات إشعاع وسيط، يشمل مجالات جذب المدن الصغيرة مع اعتبارها (بدورها) كجزء من مجال جاذبية لمدينة أكبر منها.
- تمتعها بوظائف مميزة تضطلع بواسطتها بدور مراكز الارتكاز بالنسبة للمدينة الكبيرة وتكوّن في نفس الوقت مرجعا ومستوى حثّ على التنمية بالنسبة للمدن الصغيرة.
- هي مجال داخلي متميز، لكنه لا يمكّن من التقسيم والتفرقة، المميّزين للمدينة الكبيرة.

- يؤكد العديد من الباحثين على أنّ هذا الصنف من المقاربات يترجم عن إرادة من أجل فرض تعريف وخصائص ملائمة للمقارنة وللتصنيف، لكنه لا تعبر عن حقيقة المدينة المتوسطة وعن تعقّدها وتنوّعها.في بعض البلدان ،يبلغ حجم المدن الصغيرة والمراكز الريفية حجم هدا الصنف من المدن (على غرار بلدان آسيا وحتى في مصر حيث يصل حجم القرية 500000 ساكنا)، حيث يعكس المشهد المرفولوجيا الريفية وهيمنة الوظائف الفلاحية، ويقتصر إشعاع المركز على المجالات المحيطة المباشرة دون سواها.

- العلاقة بالحجم الديمغرافي : هل الانتقال على سبيل المثال من حجم 20000 ساكنا إلى 100000 يسمح لمدينة صغيرة ما بأن تصبح مدينة متوسطة؟ هل بالإمكان تحديد عتبة الانتقال بين المدينة ذات 20000 ساكنا ونظيرتها بـ100000 داخل إطار سوق شغل متنوعة وهيكلة اجتماعية أكثر تعقيدا؟ وفي إطار تمايز اجتماعي مجالي أكثر حدّة وفي ظل بروز التحركيّ السكنية؟

***السؤال الثاني يتعلق بنسبية مفهوم المدينة المتوسطة** وما يعبّر عنه من تنوّع للظرفيات الجغرافية والمسارات التاريخية والديناميات الاقتصادية والتغييرات الاجتماعية.

- ففي المقام الأول، يُمكّن الاختلاف الهام لهذه الظاهرة من التمييز بين بلدان المدن المتوسطة (كالجزائر علي سبيل المثال) وبلدن ذات عدد محدود لهذا الصنف من المدن (أهمية المدن الكبرى في المغرب والمدن الصغيرة في تونس)، فتغيّرية (أو تغاير) الخصائص تُبرز الفارق بين المدن التي تهيمن فيها الوظيفة الإدارية والخدمات العمومية (الجزائر وتونس مثلا) والمدن ذات الوظائف الاقتصادية (تجارية، صناعية، سياحية ...إلخ) مثل ما هو الشأن في أوروبا وفي بلدان متقدمة أخرى). أمام هذا التنوّع، سؤال هام يطرح نفسه وهو:هل بالإمكان تقديم تعريف موّحد وتحديد ميزات مشتركة قادرة على تجاوز هذه الحدود(في معنى الفوارق) والظرفيات الجغرا- تاريخية ؟

- أما في المقام الثاني، وفي حالة بناء (أو تكوّن) المجالات الحاضرية، فأيّ تأثير للدينامية الناجمة على المدن المتوسطة المكوّنة لهذه المجالات الحاضرية؟ هل هناك فاعلون قادرين على تحليل الامتيازات التي تولّدها الحوضرة وتصوّر التدخلات الممكنة لجني بعض المنافع؟ رغم أنّها مدن متوسطة، فهل تبقى المندمجة منها في المجالات الحاضرية في حالة جمودّ أمام ظاهرة الحوضرة؟ هل تعيش ديناميات مفروضة من الخارج أو تتعرض إلى أزمات واختلال في السير، إلخ...؟

وأخيرا، بالنسبة للمدن المتوسطة الخارجة عن إشعاع المجالات الحاضرية يمكن طرح السؤال حول كيفيه انصهارها في الدينامية الترابية، أيّ التأثيرات؟ أي الفاعلين الديناميكيين؟ وأي انعكاسات على التركيبة الاجتماعية؟ وما هي الانعكاسات على أنماط التدخل لهذه المدن في محيطها الإقليمي؟

***السؤال الثالث يتعلّق بمساهمة المدينة المتوسطة في تطوّر التراب،** فبالتأكيد تتحدّدُ سياقات البناء واللّابناء وإعادة بناء الترابات الوطنية بواسطة دور العواصم. ففي أغلب الأحيان تبقى هذه الأخيرة على وضعها، لكنّ إعادة التشكّل تحصل على مستوى المدن المتوسطة.

من ناحية أخرى، فإذا كان مفهوم المدينة المتوسطة قد يتناسب مع مستوى وسيط، فهذا يعني أنّه قد تمّ اعتباره مفهوما عمليا لتحليل كل الأنظمة الحضرية وبنيات المدن، وهذا يعني أيضا بأنّ هذه الأخيرة تعدّ من الأصناف الأساسية الثلاث من المدن : الكبيرة، المتوسطة والصغيرة، رغم اختلاف هذه الأصناف من فترة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر على مستوى الحجم والمحتوى.

***السؤال الرابع يهم الأحجام المتعددة للمفهوم**

المدينة المتوسطة هي حقيقة اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، سياسية...إلخ. إذن ، من الضروري المزيد من التوضيح لبلوغ فهم أفضل وأدق لهذا التعقيد.

تساؤلات أخرى يطرحها غير الجغرافيين وتوضيحات جديدة يقدّمها رجال الاقتصاد، المؤرخون، علماء الاجتماع، الأنتربولوجيون والسياسيون وغيرهم من المتخصصين في العلوم الاجتماعية بوجهات نظر مختلفة حول مفهوم المدينة المتوسطة.

بالنسبة لرجال الاقتصاد، المدينة المتوسطة هي وسط سير لأنظمة الإنتاج الموطنة، هي (بالنسبة لعلماء الاجتماع) وسط تجاوز التشاركية القروية والمدينة الصغيرة دون تجاوز مرحلة الاختلاط والفصل التي تميز المدينة الكبيرة، هي التي تنفرد بشخصيتها وبثقافتها المميزة (حسب علماء الأنتروبولوجيا) وسط تعديل في نظر السياسيين، تحصل بداخلها مناورة الفاعلين في الدولة. إنّها وسط لممارسة السلطة، لكنها أيضا وسطا للمعارض والانتفاضات، تمهّد لثورة يعلن عنها في المدينة الكبيرة، وبالتالي تتطلب مراقبتها رهانا كبيرا بالنسبة لكل مشروع سياسي.

تلك هي إذن بعض محاور الاهتمام التي تقترحها الندوة بحثا عن معرفة أوضح وأدق لظاهرة المدينة المتوسطة التي تبقى ذات تعريف غامض ومحدودة التقييم وذات بعد عملي ضعيف.

محاور التدخل

يسمح التنوّع النسبي للأسئلة المتعلقة بالمدينة المتوسطة من اعتماد مقاربات مختلفة كالدراسات المونوغرافية، التحاليل المحورية، المقاربات الزمنية ، المقارنات.....

تعدّ الندوة إطارا:

- لرصد حصيلة (في معنى الجمع) من المعار ف عن المدينة المتوسطة والإجابة عن الأسئلة العالقة.
- جمع الباحثين من مختلف الاختصاصات ومختلف وجهات النظر للتفكير في مدى وجاهة مفهوم المدينة المتوسطة وأبعادها العملية.
- تقديم بعض البحوث التي تتعلق ببعض ملامح المدينة المتوسطة.

يبقى حقل التدخل في الندوة متعدد الاختصاصات، لكننا ولأسباب عملية، اقترحنا المحاور التالية :

1 - المدينة المتوسطة والمعرفة الجغرافية

- كيف تُحدّدُ المدينة المتوسطة ؟
- ما هي وجاهتها وما هي أبعادها العملية ؟
- كيف تعبّر المدينة المتوسطة عن تنوّع جغرافي ؟
- أيّ علاقة بين حجم ومحتوى المدينة المتوسطة؟

2 - المدينة المتوسطة والحوضرة

- ما هو مستقبل المدينة المتوسطة في إطار الدينامية الحاضرية ؟
- المدينة المتوسطة عامل ملائم بالنسبة للحاضرة .
- أيّ المقاربة يمكن اعتمادها لتحليل شبكات المدن المتوسطة ؟

3 - المدينة المتوسطة والتنمية الإقليمية

- ما هي إمكانيات التنمية الإقليمية بواسطة المدينة المتوسطة في إطار العولمة والحوضرة ؟
- أيّ دور للمدن المتوسطة في تنمية المجالات الريفية ؟

4 - المدينة المتوسّطة والتغيّر الاجتماعي

- أيّ أدوار للمدينة المتوسطة في سياق التحضر والمواطنة ؟
- هل تعبّر المدينة المتوسطة (أو تعكس) عن مستوى وسيط بين مستوى التمييز والتستر والكونية للمدينة الكبيرة ومستوى اللحمة والتآزر الجماعي للمدينة الصغيرة والقرية.

- المدينة المتوسطة والحوكمة

- هل يوجد نمط مميّز من الحوكمة بالنسبة للمدينة المتوسطة ؟
- من هم الفاعلون في المدينة المتوسطة وما هي استراتيجياتهم ؟

أيّ أنماط التعديل الخاصة بالمدن المتوسطة ؟

6 - الرحلة الميدانية : مدن ولاية زغوان (الشمال الشرقي التونسي)

المسائل التنظيمية

1- لغة الندوة : العربية والفرنسية

2- كيفية المشاركة : تقديم مداخلة أو عرض معلقة

3 - الملخصات : يشترط أن لا يتجاوز الملخص 500 كلمة على أقصى تقدير بما في ذلك الكلمات المفاتيح، تكتب على برنامج-Word - خط Times New Roman وبحجم حروف 12.

4 - الأجال :

- **28 فيفري2018** : آخر أجل لقبول الملخصات
- **30 مارس 2018** : آخر أجل للإعلام عن قبول الملخصات
- **10 سبتمبر 2018** : أخر أجل لقبول النص الكامل للمداخلة أو المعلقة
- ترسل المداخلات بالبريد الإلكتروني إلى منسق الندوة الأستاذ **الصديق فازعي** على العنوان التالي : **seddikfazai@gmail.com**

5- معلوم المشاركة

- 300 دينارا (100أورو) للباحثين والأساتذة
- 150دينارا (50 أورو) لطلبة الدكتوراه

اللجنة العلمية

- عمر بلهادي، الحبيب دلالة، عدنان حيدر، الصديق فازعي، مراد بن جلول (جامعة تونس)، عبد الله الشريف، عبد الكريم سالم ، فضيلة علوي (جامعة منوبة)، رضا الأمين، حسن البوبكري (جامعة سوسة)، علي بنصر، عبد الكريم داود (جامعة صفاقس)، سامي ياسين تركي (جامعة قرطاج)، عبد القادر كعيوة (جامعة حسن الثاني الدار البيضاء)، عزيز عراقي (INAU الرباط)، صلاح الدين شرادي (جامعة قسنطينة I)، صالح بوشمال (جامعة أم البواقي)
- Pierre Signoles (Université de Tours), Jean Marie Miossec (Université Paul Valéry III), Bouziane Semmoud (Université Paris 7), Pierre Bergel (Université de Caen Normandie), Eric Verdeil (Centre de recherche Sciences Po Paris), Claude Grasland (Université Paris 7).

لجنة التنظيم

- عدنان حيدر، مراد بن جلول، نجاة الوسلاتي حمزاوي، نعيمة الأشطر، فوزي الزارعي، الحبيب بن غربية، محمد الشريف، أنور الهاشمي، عزالدين الدريسي، مهى بوجليدة، الصديق فازعي.

الاتصال : منسق الندوة: الصديق فازعي

-Email : seddikfazai@gmail.com